المحاضرة العاشرة الصراع في الدراما –أنواعه ودرجاته.

يعد الصراع من أهم العناصر البنائية في العمل المسرحي لما له من أهمية على سير الشخصية والمتلقي، فهو تلك العلاقة التصادمية بين طرفين أو أكثر أو داخل الشخصية ذاتها. _"ينبغي أن يكون هذا الصراع متدرجا في الصعود ولا يلحقه ركود أو جمود في الطريق]...[حتى يبلغ الذروة" [1]، والدراما لا تحتمل لا السكون ولا الركود، ولابد من الدفع بالصراع إلى التأزم ليضفي على العمل المسرحي نكهة جمالية وفنية، إذ به تظهر معاناة الشخصيات الدرامية سواء الفردية أو الجماعية، من خلال مبررات منطقية ودوافع مقنعة تعطي قيمة معنوية لصراع هذه الشخصيات.

كما يبنى الصراع على التوازن والتكافؤ بين أقطابه، وهنا لا نقصد بالتوازن القوة المادية، ليس صراعا لشرف أو نبل وإنما بأكتساب قوة معنوية تجعل الشخصية تتحمل عبء الصراع ومقتضياته [2]، وإن ما يثير المتعة في الصراع هو عندما تتبادل القوتين المتصارعتين المواقع في سير الحكاية، فيبدو أحدهما مسيطرا في لحظة ثم يصبح مدافعا في لحظة أخرى، وبهذا تتصاعد أنفاس المشاهدين وهم يتابعون هذا الانتقال وهذا التنوع في إيقاع الصراع، وهنا ينحاز المشاهد بالضرورة إلى أحد الأطراف تأييدا لأفكار وقيم والتي ستكون سببا في صراعه مع نقيضه[3].

والمتتبع لهذا الصراع ينحاز إلى أحد المتصارعين، وانحيازه يعني بالضرورة تأييدًا لأفكاره وقيمه التي تعرض للصراع من أجلها. وبهذا الانحياز يصل الكاتب إلى إيصال الهدف الأعلى للمسرحية، ولا يوجد شيء أقوى من هذا الأسلوب لغرس الأفكار والنزاعات الإنسانية في نفوس المشاهدين، فالمسرح أكثر الأجناس الأدبية المجسدة لانتصار الحق والخير والجمال.

إذن، "الصراع هو التصادم بين الشخصيات أو النزعات وهذا ما يؤدي إلى تبيان الحدث في المسرحية أو القصة، وقد يكون هذا التصادم داخليا في نفس إحدى الشخصيات أو بين إحدى

الشخصيات وقوى خارجية]...[أو بين شخصيتين تحاول كل منهما أن تفرض إرادتها على الأخرى" [4]، مثله مثل الصراع في الحياة اليومية، منه ما هو داخلي ومنه ما هو خارجي، فأما الداخلي فيكون بين العواطف المتضادة كالحب والبغض، أو بين العقل والعاطفة كالصراع بين الحب والواجب، أو صراع بين فكرة وأخرى. وأما الصراع الخارجي يكون بين شخصيتين، أو بين شخصية و ما يحيط بها من ظواهر طبيعة، أو صراع مع المجتمع، أو صراع مع قوى كبرى كالقدر، ويكون الصراع كذلك من جهة أخرى إما ماديا محسوسا أو نفسيا يتجسد من خلال المنولوجات والحوارات الجانبية أو سلوك الشخصية، ولا بد أن يكون نابعا من الأحداث والمواقف الموجودة فعلا في العمل الدرامي، ولا يأتي لسبب اعتباطي، حتى يكون الحل في نهاية الأمر منطقيا ومعقولا، بل ومحتملا يراعى فيه تسلسل الأحداث في الحبكة المسرحية، إلى أن يصل في الأخير إلى نهاية تكون إما مأساوية بسقوط وموت البطل أو ينتصر فيها وينصف الحق.

"إن الصراع هو النسيج الضام لجميع أركان التأليف المسرحي، وهو الذي يحول أجزاء الحكاية - التي تقوم بها شخصياتها- إلى عمل مسبوك محبوك مثير.

شرطه الأول: أن يكون قويًا ضاريا بين كفتين متوازيتين ومتوازنتين.

شرطه الثاني: أن يكون صاعدًا متواترًا دون تلكؤ أو استرخاء.

شرطه الثالث: أن لا يغيب لحظة واحدة عن مجريات الأحداث وتصرفات الشخصيات"[5].

وإذا تخلى الصراع عن هذه الشروط الثلاثة في مشهد أو موقف، وقع ذلك المشهد أو الموقف في صفة الضعف والتراخي والإملال، أما إذا افتقد النص المسرحي كله هذا العنصر فلا شيء قادر على إحياء النص حتى إن اكتملت له بقية العناصر الأخرى[6]، فإذا أحكمت إدارة الصراع وكان ممتعاً، فإنه سيدفع بالمتلقي إلى تحريك العقل والعيش الوجداني والعاطفي مع الأحداث المسرحية.

كما تتوضح خصائص الصراع فيما يلي:

- أن يكون بين قوتين متكافئتين.
- أن يكون كل من طرفي الصراع واعياً لموقفه مع الطرف الآخر.
- أن يرتبط الصراع بالهدف الأعلى للمسرحية وأن يوصل إليه.

وجمال الصراع في المسرحية أن أحد الطرفين يبدو متفوقاً على الآخر فيسمى (القوة المسيطرة المهاجمة) ويكون الثاني (مدافعاً) عن نفسه أمام الأول، وأما الأمتع في الصراع أن تتبادل القوتان المواقعَ في سير الحكاية، فتبدو إحداهما مسيطرة في لحظة ثم تصبح مدافعة في لحظة أخرى، ما يزيد المسرحية تشويقا وتأملا.

ويتخذ الصراع شكلين لكل منهما جمالياته وفنيته ، الأول منهما صريح واضح ظاهر يزج حكاية المسرحية في ثنايا الأزمات والتعقيدات. وأكثر المسرحيات تتخذ هذا الشكل لأنه يستطيع إثارة في نفوس الجماهير، أما الشكل الثاني فالصراع فيه ساكن هادئ يكاد لا يظهر ، وهو صراع نفسي وفكري أكثر مما هو صراع عملي، وفي كلا الصنفين لا بد للصراع أن ينتهي إلى خاتمة هي في الوقت نفسه خاتمة المسرحية7.

---

[1] - علي أحمد باكثير، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، مكتبة مصر- الإسكندرية، ص76.

[2] - ينظر، فرحان بلبل، النص المسرحي، الكلمة والفعل، م س، ص57.

[3] - ينظر، فرحان بلبل، م ن، ص58.

[4] - مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص 85.

[5] - فرحان بلبل، النص المسرحي الكلمة والفعل، م س، ص60-61.

6- ينظر، م ن، ص61.

[7] - ينظر، فرحان بلبل، النص المسرحي الكلمة والفعل، م س، ص65-66.